دلالات (ما) بين الإسمية والحرفية

أ. المهدي علي محمد موسي
كلية التربية، جامعة الزنتان

المستخلص:

إن اللغة العربية تزخر بالعديد من المشتركات اللفظية، وهي المفردات التي تحمل أكثر من معنيين منها على سبيل المثال (ما) على الرغم من صغر حجم هذه المفردة، فإنها تحمل دلالات متعددة ومعاني متنوعة، فهي حرف أحياناً واسم أحياناً أخرى، وهي أحد حروف المعاني التي تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض، وتكون موصولة ومصدرية وشرطية واستفهامية وتعجبية ونافية وزائدة، بالإضافة إلى قيامها ببعض الوظائف النحوية، فهي عاملة، وغير عاملة، وكافة، فإذا كانت في أي جملة فلابد لها من محل إعرابي؛ أما إذا كانت حرفية فلا محل لها من الاعراب، ولا يمكن إدراك دلالات (ما) المتنوعة إلاّ من خلال النظر في سياقات الجمل والتراكيب.

الكلمات المفتاحية: دلالات، ما، الاسمية، الحرفية

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

الأصل في اللغة أن يختص كل لفظ من ألفاظها بمعنى معين، بحيث تكون دلالة كل لفظ على مدلوله واضحة مستقلة؛ إلاّ أنه وجد في اللغة خلاف ذلك، إذ يستعمل اللفظ للدلالة على معنيين أو أكثر، والدليل على ذلك لفظة (ما) وهو موضوع بحثي، حيث ذكر علماء النحو أنها تكون حرفية واسمية، والسياق يحدد ذلك، لأن عدم معرفة موقع استعمال هذه الكلمة وعلاقتها بعناصر الجملة قد يؤدي إلى فهم الكلام على غير المراد منه، حيث يعدّ هذا البحث محاولة في اظهار دلالات (ما) بين كونها حرفاً أو اسماً، واختلاف معنى المفردة الواحدة أو جمعها بين معاني متعددة وهي الأمور التي تتميز بها اللغة العربية.

وبناء على ما سبق جاءت رغبتي في معالجة قضية دلالة (ما) بين الاسمية والحرفية، من خلال دراسة وصفية تحليلية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في ورود لفظة (ما) في كثير من المواضع تحمل أكثر من معنى؛ ومدى أهمية المفردات ذات المعاني المختلفة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بسط الكلام على معرفة المفردات ذات المعاني المختلفة في تشكيل الدلالة بشكل عام.

منهج الدراسة:

حيث اتبعت في هذه الدراسة المنهج "الوصفي التحليلي".

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تحشد كلمة (ما) على الرغم من صغر حجمها في محيطها، دلالات متعددة ومعاني متنوعة، لا يمكن إدراكها إلاّ من خلال النظر في سياق الجمل والتراكيب.

الدراسات السابقة:

من أهم هذه الدراسات دراسة أصول (ما) في القرآن الكريم دراسة تطبيقية على سورة يس لإبراهيم بن سعيد.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن أقسمه إلى:

مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة: أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن إحدى الظواهر اللغوية، وأهميتها، وأهدافها، والمنهج المتبع وإشكالية البحث والدراسات السابقة.

التمهيد: قد تحدثت فيه بإعطاء نبذة عن (ما) في تنوع معانيها.

المبحث الأول-فقد تحدثت فيه عن دلالات (ما) الاسمية.

المبحث الثاني-فقد تحدثت فيه عن دلالات (ما) الحرفية.

الخاتمة: متضمنة أهم نتائج البحث.

تمهيد:

تعد (ما) إحدى المفردات اللغوية ذوات المعاني المتعددة ، التي تختلف وظيفتها النحوية ودورها الدلالي داخل التركيب اللغوي، وقد جاء الحديث عنها في كتب النحو، كما هو الحال في كتاب سيبويه، وأيضاً أفرد المبرد في كتاب المقتضب لها جزءاً سماه (باب ما من الكلم على حرفين) ذكر فيه طرفا من هذه المفردات ومعانيها مثل (مَن، وما، وإنْ، وغير ذلك)، ومن بعده المرادي في (الجنى الداني)، وابن هشام الذي خصص لهذه المفردات جزءاً كبيراً من كتابه (مغني اللبيب)، ثم المالقي في كتابه (رصف المباني)، ثم الزجاج في كتابه (اللامات) ثم الرماني في كتابه (معاني الحرف)، والهروي في كتابه (الأزهية في علم الحروف).

و (ما) إحدى هذه المفردات التي تجمع بين الاسمية والحرفية، وتتنوع معانيها بين هذين النوعين، وسوف أُوجز فيما يلي أهم الأنواع والمعاني التي تدور حولها (ما) الاسمية والحرفية.

فما الاسمية فلها أربع دلالات موصولة وشرطية واستفهامية، وتعجبية، أما ما الحرفية فتكون نافية وزائدة، أما النافية فتكون عاملة عمل ليس ويسميها النحاة بـ (ما) الحجازية

وهي تعمل بشروط، أما (ما) غير العاملة فهي داخلة على الفعل وأيضاً هناك (ما) تسمي (ما) المصدرية، فهي ظرفية وغير ظرفية.

المبحث الأول-دلالات (ما) الاسمية:

فالاسم: كلمة دلت على معني في نفسها ولم تقترن بزمان كـ (زيد، وكتاب، وفرس...) فكل هذه الكلمات أفادت معنى من المعاني، ولكنها لم تدل على زمن من الأزمنة (ابن يعيش، 2001م: 81/1)، وتعتبر (ما) من الأسماء وتختلف معانيها حسب السياق، وتكون دائماً مبنية.

أنواع ومعاني (ما) الاسمية:

أولاً- (ما) الموصولة:

بمعنى الذي، وهو اسم موصول مبني على السكون في محل كذا حسب موقعه من الكلام، ومعنى الموصول: أنه ناقص يحتاج إلى ما يتممه ويسمى بالصلة(ابن مالك، 2001: 116/1)، و(ما) هنا اسم موصول مشترك، أي يشترك فيها المفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث (الغلاييني، 1993م: ص32)، ويكون لغير العاقل، فتقول: (اركب ما شِئْتَ مِنَ الخيل)، وقد تستخدم للعاقل، كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ (سورة النساء: 3)، فإن (ما) الموصولة في هذه الآية تعمل على ربط الجملة الفعلية (طاب) بالموصول الذي يمثل الشروط أو الأوامر التي يجب أن تتحقق ، أي النساء اللواتي طاب لهن من حيث الكفاءة والقبول (الفراء ، 1983م ، 209/3 وكقولهم: (سبحان ما سخر كن لنا)، وقولهم: (سبحان ما يسبح الرعد بحمده)، وذلك قليل، وأكثر ما تكون (ما) للعاقل إذا اقترن العاقل بغير العاقل في حكم واحد (المبرد، 1994م: 179/1)، كقوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(سورة الجمعة: 1) حيث استعملت ما في هذه الآية لتدل على العاقل عن طريق الاستعارة أو المجاز المرسل ؛ أي: غلب غير العاقل على العاقل (ابن هشام، 2005م: 122/1).

ثانياً- (ما) الشرطية:

اسم مبهم لغير عاقل، ويضمن معنى الشرط ويجزم فعلين، يسمى الأول منهما فعل الشرط والثاني جوابه، وتقتضي (ما) وقوعها في صدر الكلام، وهي صريحة في الدلالة على الجزاء (الرماني، 2005م: 59)، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾

(سورة البقرة: 197)، وإعراب (ما): اسم شرط جازم ومحلها الرفع على الابتداء إن كان الفعل الذي بعدها قد استوفى مفعوله، وإلا فهي مفعول به مقدم (ابن مالك، 2001م: 387/3).

ثالثاً ــ (ما) الاستفهامية:

هو أسلوب يستعمل للاستفسار عن شيء ما يجهله، ويتكون هذا الأسلوب من ثلاثة عناصر وهي: أداة الاستفهام، والمستفهم منه، وجواب الاستفهام، وتنقسم أدواته إلى قسمين: أحرف استفهام وهي الهمزة وهل، وأسماء استفهام وهي مَنْ، مَا، متى، كيف، أين(سيبويه، 1988، 328/4).

فما الاستفهامية لها الصدارة في الجملة ويستفهم بها عن غير العاقل من الحيوان والنبات والجماد والأعمال، وعن حقيقة الشيء عاقلاً كان أو غير عاقل وتعرب حسب موقعها في الجملة (الرماني، 2005م: ص59).

ومن معانيها:-

أ. التعظيم والتهويل: كقوله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢﴾ (القارعة: 1-2).

ب. التحقير والتصغير: كقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ (الأنبياء: 52)، في قوله: (ما هذه التماثيل) تحقير لها، وتصغير لشأنها.

ج. الإنكار: كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: 99).

د. التعجب: كقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ (غافر:41).

هـ. الاستهزاء والسخرية: كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓ﴾ (هود: 8).

و. التقرير: كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه: 17).

ح. التوبيخ: كقوله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (البقرة:91).

ي. العتاب (الهروي، 1993م، ص75): كقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ (التوبة: 43).

رابعاًـــ ما التعجبية:

عرف التعجب بأنه استعظام زيادة في وصف الفاعل، ويكون فيما خفي سببه (وقد قيل: إذا ظهر السبب)(ابن الخشاب ، 1972م: ص145-146) على أن التعجب لا يصح صدوره من الله ، عز وجل لأنه يعزب عن علمه شيء فالله يُعجب المخلوقين ولا يَعجب هو فإن ورد ما ظاهره ذلك صرف الى المخاطب فيكون قوله تعالى (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) سورة البقرة الآية 175 معناه : أن الله يُعجب المؤمنين من جرأة الكفار على عمل يقربهم من النار (مكي بن ابي طالب، 1984م: 117/1)

فما التعجبية تكون نكرة تامة بمعني شيء عظيم مبنية على السكون(المرادي، 1992م: ص337)، وتكون في محل رفع مبتدأ وهي تفيد انفعالاً يدل على قوة الموصوف، وهذا ما جعلها مما يصح الابتداء بها(ابن مالك، 2001م: 484/1)، وتكون صيغة التعجب بـ (ما) على وزن ما (أفعل) على النحو التالي: (ما+ فعل التعجب+ المتعجب منه) نحو قولك (ما أعذب كلامك) (سيبويه، 1998: 72/1)، ونحو قوله تعالى ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (عبس، الآية: 17).

المبحث الثاني ــ دلالات (ما) الحرفية.

"ما" حرفية:

الحرف في اللغة هو الطرف والجانب (إبن منظور، 1993، 89/4)، والحرف في اصطلاح النحاة، كل كلمة دلت على معنى في غيره الداخل عليه من الاسم أو الفعل ومن علامته أنه لا ينعقد منه ومن الاسم وحده فائدة، ولا من الفعل وحده أيضاً (ابن يعيش، 2001م، 447/4)؛ وينقسم الحرف إلى نوعين مختص أي يختص بنوع من الاسم أو الفعل فيكون عاملا غالبا مثل: حروف الجر التي تختص بالاسم وحروف النصب التي تختص بالفعل (ابن الخشاب، 1972م: ص90) وغير مختص بنوع محدد فيكون مهملا مثل حروف النفي والاستفهام (عباس حسن، 1990م: 66/1). حيث تنقسم "ما" الحرفية إلى ثلاثة أقسام وهو النافية، المصدرية والزائدة ولكل أقسامها لها معاني كثيرة هو لعمل لها ونافية لعمل عمل ليس (نافية)، كافة وغير كافة (زائدة)، ثم ظرفية وغير ظرفي (مصدرية) (العكبري، 1993: 50/1).

أنواع ومعاني (ما) الحرفية:

1. ما النافية: تدخل على الاسم على خلاف بين الحجازيين وبني تميم في عملها عمل (ليس) بالشروط التي نص عليها النحاة(أن يتقدم اسمها على خبرها إلا إذا كان الخبر شبه جملة وألا ينتقض نفيها بـ"إلا" نحو قوله تعالى ﴿ما هَذَا بَشَرا﴾ (يوسف، الآية:31) ، وكقولك : ما زيدٌ قائماً، أو ما زيدٌ قائمٌ(عبده الراجحي، 1999م: ص14-15)؛ وتدخل على الفعل الماضي نحو (ما قامَ زيدٌ) فتبقيه على مضيه، وتدخل على المضارع فتخلصه للحال؛ فتقول: ما يقوم زيدٌ. وتجعله للمستقبل إذا ورد ما يدل عليه، كقولك: ما يقومُ زيدٌ غداً(المالقي، 2002م: ص380)؛ وأجاز ابن مالك أن تخلصه للمستقبل فتكون في هذه الحالة حرفاً لا محل له من الإعراب ولا تؤثر على عمل الفعل، ولكنها تغير معناه(ابن مالك، 2001م: 387/3).

2. ما المصدرية:

حرف يسبق الفعل حيث تؤول مع فعلها بمصدر صريح، يعرب حسب موقعه في الجملة وتكون مبنية على السكون، وهو مذهب الجمهور أنها حرف والحرف لا يعمل ما بعده فيما قبله (سيبويه، 1988م: 11/3)؛ أما الأخفش فيرى أن (ما) المصدرية تكون اسماً، نحو قولك (سرني ما قمت)، أي قيامك، وعجبت مما قعدت أي قعودك (الرماني، 2005م: 62).

وتنقسم (ما) المصدرية إلى:

أ-مصدرية ظرفية زمنية: وهي التي يقدر قبلها الزمان نحو قولك: سأعمل الخير ما دمت حياً، فـ (ما) حرف مصدري لا محل له من الإعراب والمصدر المؤول من (ما) والفعل في محل نصب على الظرفية الزمنية (المالقي، 2002م: ص381)، ونحو قوله تعالى ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم، الآية: 31) أي مدة دوامي حياً.

ب- مصدرية غير ظرفية: وهي التي لا يقدر قبلها الزمان نحو قولك: عجبت مما فعلت، فالمصدر من (ما) والفعل في محل جر بحرف الجر(المرادي، 1992م: ص332).

3. ما الزائدة الكافة:

تدخل (ما) بين عناصر مترابطة في الجملة، فتبدو زائدة على التركيب الأصلي، ويسميها النحاة بـ (ما) الزائدة، وتنقسم (ما) هذه إلى نوعين:

أ. (ما) الزائدة الكافة: وهي التي تكف ما قبلها عن العمل فيما بعدها، كأن تأتي بعد (إن) أو إحدى أخواتها فتمنعها من نصب الاسم، وفي هذه الحالة يعرب الاسم الواقع بعدها

مبتدأ، مثل: قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: 10)، ونحو قولك: إنما محمد رسول، ففي هذه الجملة أيضاً كفت (ما) عمل إنّ ليبقي (محمدً) مبتدأ، و (رسول) خبر المبتدأ(الرماني، 2005م: ص62).

ب. (ما) الزائدة غير الكافة: وهي التي تزاد في التركيب لكنها لا تكف ما قبلها عن العمل فيما بعدها، وتأتي بعد بعض حروف الجر فيسمى الاسم الواقع بعدها مجروراً بالحروف الواقع قبلها ، والحروف التي تتصل بـ (ما) خمسة حروف جر وهي (من، عن، الباء، ربّ، والكاف) حيث تأتي بعد (من ، عن ، والباء) فلا تكفهن عن العمل ، بل يبقي الاسم بعدهن مجرورا(الهروي، 1993م، ص88) نحو قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾(أل عمران: 159)، ونحو وقوله تعالى ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ (المؤمنون: 40)، ونحو قوله تعالى (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً) (آل عمران: 159).

وتأتي بعد (ربّ والكاف) فتكفها عن العمل فتدخل على الجملة الاسمية والفعلية(المرادي، 1992: ص332) نحو قوله تعالى (ربما يود الذين كفرو لو كانوا مسلمين) (الحجر: 2)، ونحو قول الشاعر:

وننحر مولانا ونعلم أنه ... كما الناس مجروراً عليه وجارم. (المالقي،2002م: ص382)

الخاتمة:-

1- أن (ما) سواء أكانت اسمية أم حرفية تكون مبنية على السكون، فالاسمية لها محل إعرابي ، أما الحرفية لا محل لها من الإعراب.

2- تختلف وظيفة (ما) باختلاف السياق والتركيب اللغوي، فـ (ما) الاسمية تكون بمعني الذي وتستخدم لغير العاقل في الأغلب، أما (ما) الاستفهامية فتستخدم للسؤال عن غير العاقل والاستفهام عنه.

3- (ما) الحرفية النافية تعمل عمل ليس وتسمي بـ (ما) الحجازية، وسميت بذلك لأن أهل الحجاز يعملونها.

4- الدلالة الحرفية هي المعني المباشر والواضح للكلمة كما هو المستخدم في اللغة دون أي تجميل أو إضافة دلالات معنوية أو مجازية، أما الدلالة الاسمية تشير إلى المعنى المجازي أو الرمزي للكلمة.

5- تعتبر (ما) من المشتركات اللفظية ويمكن معرفة معانيها عن طريق السياق.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

1- الهروي، علي بن محمد الهروي، تح: عبدالمعين المالوني، 1413ه- 1993م الأزهية، مطبوعات اللغة العربية بدمشق.

2- الغلاييني، مصطفي بن محمد سليم الغلاييني، 1414ه-1993م، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية صيدا بيروت.

3- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، 1414ه-1993م، لسان العرب، دار صادر بيروت.

4- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش، 1422ه- 2001م، شرح المفصل، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

5- الزجّاج، أبوالقاسم الزجاجي، تح: مازن المبارك، 1406ه-1986م، الإيضاح في علم النحو، دار النفائس بيروت.

6- العكبري، أبوالبقاء عبدالله بن حسن بن عبدالله العكبري، تح: عبدالإله النبهان، 1414ه-1993م، اللباب في علم البناء والإعراب، دار الفكر، دمشق.

7- المرادي، الحسن، ابن أم قاسم المرادي ، تح: فخرالدين قباوة ومحمد نديم فاضل، 1413ه- 1992م، الجني الداني، دار الكتب العلمية بيروت.

8- المالقي، أحمد بن عبدالنور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، 1423ه-2002م، رصف المباني في شروح حروف المعاني، مؤسسة الرسالة بيروت.

9- ابن مالك، تح: محمد عبدالقادر عطا، وطارق فتحي السيد، 1422ه- 2001م، شرح التسهيل، دار الكتب العلمية بيروت.

10- سيبويه، تح: عبدالسلام هارون، 1408ه-1988م، الكتاب، مكتبة الخانجي.

11- الرماني، علي بن عيسي الرماني، تح: عرفان بن سليم العشا حسونة، 1426ه-2005م، معاني الحروف ، المكتبة العصرية صيده.

12- المبرد، أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبدالخالق عضميه، 1415ه-1994م، المقتضب، وزارة الأوقاف المصرية.

13- عبده الراجحي، 1420ه-1999م، التطبيق النحوي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع مصر.

14- مكي بن أبي طالب ، أبومحمد مكي بن أبي طالب ، 1405ه ، 1984م ، مشكل إعراب القران، مؤسسة الرسالة بغداد

15- عباس حسن، 1990م، النحو الوافي، دار المعارف بيروت

16- الفراء، أبوزكريا بن عبدالله الفراء، تح: أحمد يوسف، محمد علي النجار، 1403ه، 1983م، معاني القران، عالم الكتب القاهرة مصر.

17- ابن هشام جمال الدين عبدالله بن هشام الأنصاري، 1426ه، 2005م، أوضح المسالك، دار ابن كثير للطباعة والنشر دمشق.